

«وهذا هو الكلام الأخذ بعضه برقاب بعض»<sup>(٨٣)</sup>.

ويلتفت بعض البلاغيين إلى اتساع نطاق (التخلص) في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هَدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا. ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) \* «فإنك إذا نظرت إلى قوله... وأتينا موسى الكتاب، وإلى ما قبله، وجدت بين الفصلين مباينة شديدة في الظاهر؛ حتى تفكر فتجد الوصل بين الفصلين، في قوله سبحانه «سبحان الذي أسرى عبده ليلاً» إلى قوله: لنريه من آياتنا»، فإنه تبارك وتعالى أخبر أنه أسرى بمحمد ﷺ إلى الأرض المقدسة ليريه من آياته، ويرسله إلى عباده، كما أسرى. بموسى عليه السلام من مصر إلى مدين، حين خرج خائفاً يترقب، وأسرى به وابنه شعيب إلى الأرض المقدسة؛ ليريه من آياته، ويرسله إلى فرعون وملئه وأتاه الكتاب، فهذا هو الوصل بين الفصلين المذكورين. وأما الوصل بين قوله سبحانه «ذرية من حملنا مع نوح»، وبين ما قبله، فتذكركم بني إسرائيل بأول نعمة عز وجل عليهم، بنجاة آبائهم مع نوح في السفينة من الغرق، إذ لو لم تنج آبائهم لما وجدوا، فأول نعم الله عليهم نجاة آبائهم من غرق الطوفان، وآخر نعمة عليهم نجاتهم من الغرق، حين شق لهم البحر فنجوا، وغرق عدوهم فرعون وملئه، وذكرهم أنهم أبناء نوح، وأخبر أن نوحاً كان عبداً شكوراً وهم أولاده فيجب أن يكونوا شاكراً كآبائهم؛ لأن الولد سر آبيه»<sup>(٨٤)</sup>.

وقريب من التخلص ما يعرف باسم (فصل الخطاب) وفيه تتجلى على سطح الكلام أداة لغوية، تشعر أو تهئ المستمع للانتقال من موضوع لآخر، وهي (أما بعد) و(هذا)، وذلك كما في قوله تعالى: (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ. وَإِذْ كَرَّمَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكُفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ. هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ. جَنَّاتٍ عُدْنِ مُمْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ. مَتَكِّئِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثْرَابٍ. هَذَا مَا تَوَعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ. إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ. هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ)<sup>(٨٥)</sup>.

فقد التفت ابن الأثير إلى دور اسم الإشارة (هذا) في التهيئة للانتقال من موضوع إلى آخر، حيث بعد ذكر الأنبياء عليهم السلام<sup>(٨٦)</sup> أريد الانتقال إلى الحديث عن الجنة وحال أهلها، ثم أريد الانتقال إلى أهل النار فكانت (هذا) هنا مفتاحاً ظاهرياً لتقسيم هذه الآيات تقسيماً دلالياً.